العدالة جوهر الحضارة

دراسة في البعد الفكري والنموذج التاريخي
في ضوء كليات رسائل النور لبديع الزمان النُوْرْسي

د. محمد أحمد الكامل
قسم التاريخ – كلية الآداب- جامعة صنعاء

١. مشكلة البحث.

١. ١. أزمة حضارة الإنسانية اليوم : ما من شك في أن البشرية- أفرادا وجماعات وأمما- تعيش اليوم أزمة حضارية أخلاقية إنسانية في مختلف جوانب الحياة... وان تنوعت مظاهر تلك الأزمة من فرد لآخر ومن مجتمع لآخر ومن أمة لأخرى، فإنها تعود في الأصل إلى جذر أو باعث جوهري واحد، يتمثل في غياب تطبيق المنهج المناسب في حياة البشرية والذي يتفق مع فطرتها وفطرة الكون من حولها. ذلك أن المناهج الوضعية - السائدة اليوم في أغلب بقاع العالم- أثبتت قصورها وفشلها في تحقيق التمكين الحضاري الإنساني الذي يحقق للإنسان إنسانيته وللبشرية الأمن والاستقرار والطمأنينة. لذا فالبشرية بحاجة ماسة إلى منهج متكامل يعالج مختلف جوانب حياة الإنسان المادية والروحية. ذلك هو المنهج الإسلام ي الرباني الإيماني الذي نزل من عند خالق الإنسان الذي هو أعلم بما يصلح له ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك: آية ١٤) أنه المنهج الجامع لكل صفات الكمال والواقعية، وجوهره (العدالة) المتمثلة في كل جزئياته والتي تمثل صورة للعدالة الإلهية الكبرى، الذي يجب أن تستمد منها البشرية عدالتها الإنسانية على الأرض. وهذا المنهج ليس بعيدا ولا غريبا عنا بل هو في متناول اليد وقريب إلى العقل والقلب والفؤاد، وقد طبق في مراحل تاريخية من حياة البشرية من خلال الأمم والجماعات التي آمنت بما جاء به الأنبياء والمرسلين فبلغت تلك الأمم مكانة حضارية أخلاقية إنسانية مثلى. والبشرية اليوم – وفي ظروف متغيرات العصر- في أمس حاجة إلى العودة إلى ذلك المنهج وتطبيقه لتتحقق للبشرية السعادة بكل جوانبها وأبعادها...

١. ٢. إشكالية المصطلحات.

تواجه الأمة المسلمة اليوم - بعلمائها ومثقفيها ومؤسساتها العلمية والفكرية- مشاكل متعددة من حيث تعريف كثير من المصطلحات العلمية والفكرية.. إذ تتباين التعريفات بتباين التصورات والأفكار والمذاهب والبيئات - وهذا أمر بديهي بالنسبة للطبيعة البشرية-. وثمة عوامل تاريخية خاصة بفكر الأمة الإسلامية قد أسهمت في ذلك... كدخول أفكار الإسرائيليات إلى الفكر الإسلام ي في وقت مبكر، ودخول ثقافات غير عربية اثر انتشار الإسلام إلى أمم عديدة في أصقاع المعمورة المختلفة؛ ما أدى إلى امتزاج كثير من الأفكار والمصطلحات بل وطغيان بعضها على مصطلحات اللغة العربية لغة القرآن الكريم بدخول تلك الأمم وأفكارها وفلسفاتها التي ترجمت إلى اللغة العربية...[1] بالإضافة إلى ذلك فإن كثيرا من المصطلحات العلمية والفكرية الذي أخذت جدلا واسعا في تعاريفها في الفكر الإسلامي المعاصر، منقولة عن الفكر الغربي عندما أُخذ الغرب – نتيجة لجملة من التداعيات - نموذجا حضاريا تستمد منه أمة الإسلام كافة مقومات حياتها المادية والفكرية وعلى مختلف الصعد.. ولما كانت تلك المصطلحات قد أخذت في موطنها طابع الإشكال الجدلي والفكري نتيجة ظروف وتداعيات فكرية وسياسية وإيديولوجية.. خاصة بالمجتمع الغربي، فإن تلك الإشكالات قد نقلت مع تلك المصطلحات إلى الفكر الإسلامي عندما ابتعد المسلمون عن روح لغتهم وأخذوا بترجمة المصطلحات الغربية إلى العربية، فشكلت تلك المصطلحات عبئا ثقيلا على الفكر الإسلامي وعلى الدارسين والباحثين من أبناء الإسلام وعلى العلوم المختلفة التي صارت ممزقة بتمزق تعاريف مصطلحاتها، وغلب الخوض في التعاريف على حساب دراسة جوهر المراد من تلك المصطلحات، ومنها مصطلح الحضارة ومشتقاته.

٢. البعد الفكري للحضارة والعدالة في ضوء رسائل النور.

إن رسائل النور للأستاذ بديع الزمان النورسي تقدم تشخيصا دقيقا لأمراض النفس البشرية ، التي انعكست سلبا على حقيقة واقعها الحضاري، وتقدم في الوقت ذاته الدواء الناجع لتلك الأمراض - المتمثل بتقوية جذور الإيمان في النفس البشرية- بمنهجية سلسلة مقنعة تجد طريقها بيسر إلى العقل والفؤاد والنفس والوجدان البشري على اختلاف اتجاهاته. وهذا البحث محاولة متواضعة في سبيل التعرف على موقع

(١) يشير الأستاذ النورسي إلى الأثر السلبي لتلك العوامل، ليس على مستوى الجانب اللغوي وحسب، بل وأثر ذلك في أخلاق المسلمين وحضارتهم . انظر: صيقل الإسلام ص ٣٤- ٣٥.

مشكلتنا السابق ذكرها- وعلى وجه الخصوص الأزمة الحضارية المعاصرة للمجتمع المسلم- وتقديم الحلول الكفيلة بالتغلب عليها، وذلك في ضوء هذه الرسائل التي تستمد وحي كلماتها النورانية ومنهجيتها من نور القرآن الكريم ومنهجيته، وبما يتناسب مع متغيرات العصر- فهي كفيلة بتحقيق بغيتنا في التعرف على المنظور الفكري الإسلامي للحضارة ومكوناتها وأسسها، وكذا النموذج الحضاري التطبيقي لذلك المفهوم في واقع تاريخ الأمة الإسلامية ، ثم تشخيص الواقع الحضاري للبشرية اليوم، والرؤية المستقبلية للمصير الحضاري الإنساني.

٢. ١. مفهوم الحضارة والعدالة.

بما أن العدالة هي جوهر الحضارة في فكر هذه الرسائل - كما سيثبته هذا البحث- فإننا بحاجة ماسة إلى التعرف على مفهومي (العدالة- الحضارة..) في ضوء التصور الإسلامي - الذي تجود به علينا رسائل النور- وأثر تطبيقهما في تحقيق التمكين الحضاري الإنساني في الماضي وفي الحاضر والمستقبل. بعيدين - قدر الإمكان- عن الخوض في جدل تعاريف تلك المفاهيم.

٢. ١. ١. الحضارة.

أولا المفهوم العام : (الحضارة) من تلك المصطلحات والمفاهيم المعقدة التي أخذت مساحة كبيرة من الجدل الفكري والتفسيري ، الذي لا يزال قائما إلى يوم الناس هذا، سواء أكان ذلك في الفكر الغربي أم في الفكر الإسلام ي المعاصر.[٢] فالحضارة عُرِّفت بمئات من التفاسير والتعاريف، وكل منها – كما يشير الدكتور ضناوي[٣]- "يعكس مرئياته الخاصة عن الوجود، ويختصر مفاهيم أصحابه عن الحياة" أضف إلى ذلك – وإلى ما ذكر أعلاه - أن مصطلح الحضارة لم يرد بصيغته اللغوية في المرجعيات الإسلامية الشرعية – (الكتاب والسنة)-. وما يدل على إشكالية ذلك المصطلح في عصرنا وفي ثقافتنا الإسلامية، أن بعض تعاريف هذا المصطلح أخذت

(٢) لمعرفة نماذج من تلك التعاريف والتفاسير، انظر: الواعي، توفيق يوسف. الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية. ط١. دار الوفاء. المنصورة. مصر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ص ٢٥ وما بعدها؛ الخطيب، سليمان. أسس مفهوم الحضارة في الإسلام، ط١،الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٦م ، ص ٢٤ وما بعدها؛ ضناوي، محمد علي . مقدمات في فهم الحضارة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م ص ١٠ وما بعدها. .

(٣) ضناوي. مقدمات ص ١٠.

بعدا فكريا مستقلا عن التاريخ ودراسته. فصار التاريخ في معظم المؤسسات العلمية والفكري مقسم إلى: تاريخ وحضارة، وصارت الدراسات التاريخية مقسمة إلى: دراسات سياسية وحضارية... وصار هناك تخصص في التاريخ السياسي وآخر في التاريخ الحضاري. وعندما يوجه سؤال إلى المتخصصين حول ما الفرق بين التاريخ والحضارة أو التاريخ السياسي والحضاري... وهل السياسة ليس لها علاقة لها بالحضارة ؟.. فإن السائل – في واقع الأمر – لا يجد إجابة مقنعة لهذا التقسيم الغريب؛ لغياب الرؤية الواضحة لدى أهل التخصص، ما يعطي صورة عن أثر التمزق المعرفي الذي يعيشه المجتمع المسلم نتيجة بعده عن روح لغته التي احتواها القرآن الكريم، وأخذ المصطلحات الغربية على علاتها وإشكالاتها.

وبما أن تعريف الحضارة - وما يلحق بها من مصطلحات مثل: المدنية والثقافة والتحضر- نسبية التعريف للأسباب التي ذكرناها... فإن إيجاد تعريف جامع مانع لهذا المصطلح من الصعوبة بمكان.. ولذلك فإن بعض مفكري الإسلام رأوا أن الخوض في إشكاليات المصطلحات يبعد عن دراسة جوهر الحضارة من واقع المنظور الفكري القرآني الذي يقدم منهجا متكاملا عن صورة الحضارة الإنسانية وأبعادها التربوية، وهو الأمر الذي تفتقر إليه الدراسات والبحوث المختلفة التي تناولت الحضارة الإسلامية، والتي ركزت في معظمها - كما يرى الدكتور/ البوطي- على الجانب الوصفي لهذه الحضارة سواء في وصف منجزاتها وتمجيدها أم في وصف تراجعها أو ثلمها والنيل منها، وسواء أكانت كتابات غير إسلامية ، أم كتابات لمسلمين لكنها تأثرت بكتابات وأفكار وإيحاءات غير المسلمين، وذلك في رأيه يظل عرضا عقيما ميتا،لا تتحقق منه الغاية التربوية من دراسة الحضارة.(٤) إن هذه الرؤية القرآنية التربوية التي يطالب بها الدكتور البوطي في دراسة الحضارة الإسلامية، نجدها واضحة جلية في ثنايا كليات رسائل النور للأستاذ النورسي، وهو ما سنلحظه في هذا البحث – إن شاء الله-. غير أننا بحاجة أولا إلى تقديم تعريف موجز حول مفهوم الحضارة من وجهة نظر كتابات إسلامية، فالدكتور البوطي يرى أن مدار الحضارة يبنى على ما يبذله الإنسان من جهود تنقله من حياة البداوة وبساطتها إلى حياة العمران وتعقيداتها، وما المعنى اللغوي

(٤) البوطي، محمد سعيد رمضان. منهج الحضارة الإنسانية في القرآن، دار الفكر. دمشق ط مصورة عن طبعة ١٩٨٢م، ص ٧ وما بعدها.

لكلمة (الحضر)[٥] وعكسها (البداوة) إلا تعبير واضح وجلي على المعنى الاصطلاحي، للحضارة التي هي: " ثمرة التفاعل بين الإنسان والكون والحياة" وأن الجهد الذي يبذله أهل بادية ما، من أجل " تحصين مجتمعهم السائب في قوالب من التخطيط العمراني المدني" يمثل أدنى مستويات هذا التفاعل.[٦] وقريبا من ذلك التعريف نجد تعريف الدكتور علي عبد الحليم محمود، الذي يرى أن الحضارة من الحاضرة وهي (المدنية) التي هي عكس (البداوة) من البادية التي قد تتسم الحياة فيها بالوحشية أو الهمجية والتخلف الذي من المفترض غيابه في حياة المجتمع المدني المتحضر.[٧] ويرى أن الحضارة والمدنية مصطلحان مترادفان لا ينبغي الفصل بينهما، كون التمدن هو الانعكاس الأخلاقي والعملي للتحول الحضاري.[٨] ويرى الدكتور ضناوي أن تحديد الحضارة كمصطلح يجب أن يتم بمعزل عن الأطر الفكرية، وأنه يجب التفريق بين الحضارة، بصفته مصطلحا مجردا، وبين الأفكار والمبادئ والتصورات والقيم التي استندت عليها. وعلى ذلك فتعريفه للحضارة – مصطلحا معزولا عن مبادئها- :" هي تفاعل الأنشطة الإنسانية لجماعة ما، في مكان معين وفي زمن محدود أو أزمان متعاقبة ضمن مفاهيم خاصة عن الحياة "[٩] ووفقا لذلك يرى" أن لكل جماعة إنسانية حضارة مهما كان مستوى هذه الجماعة الثقافي أو العمراني ومهما كانت أفكارها وعقائدها.. ويبقى الفارق الوحيد بين تلك الحضارات، مستويات القيم والأفكار ذاتها"[١٠] وعلى ضوء المبادئ والأفكار التي تنتمي إليها تلك الحضارة يمكن قياسها بالإيجابية أو السلبية إنسانية إسلامية جاهلية غربية مادية علمانية... الخ.[١١] أما العناصر التي تكون الحضارة فهي: الإنسان - بمكوناته وقدراته التي تنتج الحضارة في ظل تكامل اجتماعي لأن الفرد وحده لا يوجِد حضارة - والبيئة

(٥) حول التعريف اللغوي انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي الأنصاري. لسان العرب المحيط، أعاد بناءه على الحرف الأول من الكلمة: يوسف خياط ونديم مرعشلي، دار لسان العرب، بيروت (د.ت).المجلد الأول ص ٦٥٨- ٦٦٠.

(٦) البوطي. مرجع سابق ص ١٩.

(٧) محمود، علي عبد الحليم. التراجع الحضاري في العالم الإسلامي وطريق التغلب عليه ط١. دار الوفاء. المنصورة. مصر ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م ص ١٥.

(٨) محمود. التراجع الحضاري ص ١٥، ١٩.

(٩) ضناوي. مقدمة ص ١٧..

(١٠) ضناوي. مقدمة ص ١٥.

(١١) ضناوي. مقدمة ص ١٦.

والزمن. [١٢] ووفق المفاهيم السابقة يعرف الحضارة الإسلامية في ضوء المفاهيم الإسلامية وتصوراتها لعناصر الحضارة بأنها: " تفاعل الأنشطة الإنسانية للجماعة، الموجدة لخلافة الله في الأرض عبر الزمن وضمن المفاهيم الإسلامية عن الحياة والأكوان"[١٣] وهو ما يؤكده الدكتور محمود، الذي يرى بأن وصف الحضارة بالإسلامية يقتضي إسلامية المبادئ التي تقوم عليها، والمأخوذة من الكتاب والسنة والتي تمثل " دستور الإسلام ومنهج المسلمين في الحياة". [١٤]

ونخلص من تلك المفاهيم وما يحوم حولها.. إلى تعريف عام للحضارة الإيجابية من وجهة نظر الفكر الإسلامي بأنها: نتاج التفاعل الإنساني المادي والروحي بين البشر مع بعضهم من جانب، وبين البشر وعناصر الكون التي سخرها الله لخدمة ذلك التفاعل والارتقاء به أخلاقيا وإنسانيا وماديا خلال الزمن التاريخي من جانب آخر، وذلك وفق منهج الله وشريعته الحقة التي حملها جميع الأنبياء لمختلف الأمم وغايتها تحقق السعادة البشرية في الدارين، ومن خلالها تتجلى صورة العدالة الإلهية التي تظهر قدرة الله وعدله وصفاته على وجه هذه الأرض. وبقدر بذل الإنسان في تحقيق ذلك الهدف، يتحقق العدل الإلهي في الجزاء وأهمه الجزاء الأخروي...[١٥] وهكذا فإن (الحضارة) وصورتها التطبيقية (المدنية) غاية ووسيلة في الوقت ذاته، إنها غاية التمكين البشري في الأرض للاستخلاف الأمثل، ووسيلة نحو تحقيق الغاية الكبرى والأسمى في الدار الآخرة دار الحيوان حيث لا عدم ولانهاية... وما من حضارة لا تقوم على تلك الأسس والغايات، فإنها حضارة سلبية وغير إنسانية.

ثانيا: مفهوم رسائل النور للحضارة: إن ما خلصنا إليه من مفهوم عام للحضارة بصورتها الإيجابية من وجهة نظر الفكر الإسلامي، هو ذاته المفهوم الحضاري الإسلامي الذي تحمله رسائل النور. فالأستاذ النورسي لم يعن كثيرا بجدلية المصطلحات، ربما يكون ذلك من وجهة نظره – عبثا وسفسطة لا تحقق جدوى. كما

---

(١٢) ضناوي. مقدمة ص ١٧.

(١٣) ضناوي. مقدمة ص ١٨..

(١٤) محمود. التراجع الحضاري ص ٤٣.

(١٥) "إن الإنسان الذي يقضي حياة قصيرة في هذه الدنيا الفانية لا ينال ولن ينال حقيقة مثل هذه العدالة .وإنما تؤخّر إلى محكمة كبرى .حيث تقتضي العدالة الحقة أن يلاقي هذا الإنسان الصغير ثوابَه وعقابه لا على أساس صغره، بل على أساس ضخامة جنايته، وعلى أساس أهمية ماهيته، وعلى أساس عظمة مهمته" (الكلمات ص ٦٩)

أنه يفضل استخدام المدنية - بجانبيها السلوكي والمادي- وهي التحضر (عكس البداوة)[١٦]؛ كونها انعكاسا ماديا وسلوكيا للحضارة. ومن خلال تتبع مفهومه وبعده الفكري لهذا المفهوم، نجده يتعامل بالبعد المنهجي ذاته المستمد والمتوافق مع غايات ومقررات ومنهجية القرآن الكريم في طرح مختلف القضايا بمنهجيته المتسمة بالواقعية والمثالية والتوازن والوسطية.. و هي المنهجية التي تتوافق مع فطرة الخلق؛ كونها منزلة من لدن خالق الخلق. وتتمثل واقعية وتوازن ذلك المنهج لدى الأستاذ النورسي، من خلال ما أعطته الرسائل من مفهوم للحضارة وصورتها المادية (المدنية) من جانبيها: الإيجابي والسلبي. ففي حديثه عن الحضارة في جانبها الإيجابي الإنساني، التي تحقق التوازن بين متطلبات الجسد والروح في ضوء منهج الله - يوضح- ابتداءً- أن الشريعة الإسلامية هي التي تحمل أسس الحضارة الإيجابية- التي جوهرها العدالة - كونها قائمة على العلم والمعرفة فهي: " .. المؤسسة على البرهان ملخصة من علوم وفنون تضمنت العقد الحياتية في جميع العلوم الأساسية..."[١٧] ويؤكد دور وفاعلية هذه الشريعة وأثرها الإيجابي الكبير- بفعل ربانيتها وواقعيتها وتناسبها مع فطرة الإنسان والكون- من خلال الاستشهاد بالنموذج التاريخي التطبيقي في حياة الأمة الإسلامية، إذ يستشهد بما أحدثته هذه الشريعة من تغيير جذري في حياة الإنسان العربي الذي عاش بدويا (غير متحضر أو متمدن) في الصحراء، حياة جاهلية ضاربة جذورها في أعماقه من خلال توارثها جيلا إثر جيل. ومع ذلك فقد أسس نظاما وأرسى عدالة، تلك هي الشريعة ".. التي هي كخلاصة جميع قوانين العلوم وكأنها حصيلة تجارب كثيرة، بل لا يبلغ إدراكها الذكَاء مهما توسع، تلك الشريعة متوجهة إلى الأزل، معلنة أنها آتية من الكلام الأزلي، ومحققة سعادة الدارين".[١٨] ويشهد الأستاذ النورسي على فاعلية هذه الشريعة ونموذجيتها لكل عصر ولكل أمة، بما قاله علماء وقادة من الغرب- فالفضل بما شهد به الأعداء حسب قوله – من ذلك ما نقله من كلام الفيلسوف (كارلايل).[١٩] والقائد الألماني (بسمارك).[٢٠] وكثيرة هي الإشارات الواردة في

(١٦) الكلمات ص ٥٩٨، الملاحق ص ٣٧٧، ٤٣٩. صيقل الإسلام ص ٥٦. سيرة ذاتية ص ٩٨.
(١٧) صيقل الإسلام ص ١٥١.
(١٨) صيقل الإسلام ص ٥١.
(١٩) من ذلك قوله: إن كان الإسلام هكذا فياترى أيمكن للمدنية الحاضرة أن تعيش ضمن أطار الإسلام ؟. فأجاب نفسه: نعم." بل المحققون الآن يعيشون ضمن تلك الدائرة.ثم قال كارليل: "ماكاد يظهر الإسلام حتى احترقت فيه وثنيات العرب وجدليات النصرانية وكل مالم يكن بحق

الرسائل إلى الحضارة والمدنية بمفهومها الإيجابي التي تمثل روح الشريعة الإسلامية، والتي تتحقق من خلالها إنسانية الإنسان وتتحقق من خلالها إبراز صفات الله وحكمته وعدله ورحمته.[٢١] والتي تمثل- في رأيه- تجل للعدالة الأزلية في عالم الكون والتي تمثل (الإنسانية الكبرى) وأن محاسن (المدنية) التي تمثل (الإنسانية الصغرى) مقدمة لتلك العدالة الأزلية.[٢٢] فهناك إذن تناسق وتناغم بين العدالة الأزلية الكبرى والعدالة الإنسانية الصغرى التي تتمثل في الحضارة والمدنية الإنسانية. ذلك أن العدالة الأزلية ترعى الحضارة وتمدها بمكوناتها من خلال فاعلية الإنسان صانع الحضارة الإنسانية بما أودع الله فيه من مؤهلات جعلته يستحق لقب سيد المخلوقات وسلطان الكائنات التي سخرت له من أجل إنجاح مهمته.[٢٣] فاستطاع بما يمتلكه من تفرد في الخلق التعامل معها إما بمقتضيات الفطرة الإيجابية، أو بموجب الهوى والعبثية السلبية.[٢٤] ومن صور ذلك التناغم بين العدالة الأزلية والحضارة المدنية... تلك الإشارات

فإنها حطب ميت أكلته نار الإسلام فذهب" صيقل الإسلام ص ٥١، ٥٢، ٤٩٧. و كارليل – كما جاء في هامش الصفحة السابقة – هو: توماس كارلايل (١٧٩٥ - ١٨٨١) كاتب ومؤرخ وفيلسوف انكليزي، أراد والده البنّاء أن يكون ابنه قسيساً إلاّ أن كثرة شكوكه حول الدين حالت دون ذلك، مرّ بمعاناة نفسية دامت زهاء سبع سنوات، انتهى به المطاف بالاستقرار على مسائل الإيمان. ألقى سلسلة من المحاضرات، تناول في أحداها عظمة الرسول ρ، وأثنى عليه وبيّن انه النبي الحق ودحض افتراءات كثيرة. جمع تلك المحاضرات في كتابه المشهور (الأبطال). أوصى بتوزيع ثرواته إلى الطلاب الفقراء، وإيداع مكتبته في جامعة هارفرد الأمريكية. ترك آثاراً عميقة في ثقافة الانكليز ونظرتهم إلى العالم.

(٢٠) ينقل عن قول بسمارك (السياسي الأماني الشهير) قوله: " لقد درست الكتب السماوية بإمعان، فلم أجد فيها الحكمة الحقيقية التي تكفل سعادة البشرية، وذلك للتحريف الذي حصل فيها. ولكني وجدت قرآن محمد ρ يعلو على سائر الكتب. وقد وجدت في كل كلمة منه حكمة. وليس هناك كتاب يحقق سعادة البشرية مثله. ولا يمكن أن يكون كتابٌ كهذا من كلام البشر. فالذين يدّعون أن هذه الأقوال أقوال محمد- ρ - يكابرون الحق وينكرون الضرورات العلمية، أي أن كون القرآن كلام الله أمر بديهي".(صيقل الإسلام ص ٤٩٨).

(٢١) الكلمات ص ٣٦٤، ٣٩٣، ٥٦٣، ٥٧٠، صيقل الإسلام ص ١٥٠، ٣٥٩، ٤١٧، ٤٩٣، ٤٩٩، ٥١٣، ٥٢٧،

(٢٢) صيقل الإسلام ص ٥١، ٥٢.

(٢٣) يقول: " إن فطرة الإنسان وما أودع الله فيه من أجهزة معنوية تدلاّن على أنه مخلوق للعبادة؛ لان ما أُودع فيه من قدرات وما يؤديه من عمل لحياته الدنيا لا تبلغه مرتبة أدنى عصفور ـ الذي يتمتع بالحياة أكثر منه وأفضل- بينما يكون الإنسان سلطان الكائنات وسيد المخلوقات من حيث حياته المعنوية والأخروية بما أودع الله فيه من علم به وافتقار إليه وقيام بعبادته." (الكلمات ص ٢٠)

(٢٤) الكلمات ص ٢٨٧.

القرآنية إلى أنواع كثيرة من متطلبات حاجات حضارة الإنسان ومدنيته في كل عصر"... ويرى القرآن من ثمرات الغيب التقدمَ الحضاري البشري قبل ألف وثلاثمائة سنة المستترة في ظلمات المستقبل، أفضل وأوضح مما نراها نحن وسنراها. فالقرآن اذاً كلام مَن ينظر إلى كل الأزمنة بما فيها من الأمور والأشياء في آن واحد.."[٢٥] ويستطيع الإنسان – ذو البصيرة - بما أودع الله فيه من سمات خلقية ، أن يستلهم بفكره وبصيرته إشارات القرآن الكريم التي تدله على وسائل تمكينه وحضارته التي تتناسب مع كل عصر. منها وسائل الحضارة الحديثة كالقطار والكهرباء...الخ.[٢٦]

ذلك جانب من مفهوم الأستاذ النورسي للحضارة وأسسها، ويتجلى ذلك المفهوم بشكل أوضح من خلال ما تعرضه بقية نقاط هذا البحث.

٢. ١. ٢. العدالة.

أولاً: المفهوم العام: مصطلح العدالة - مشتق من المصدر (العدل)- وقد عرَّفت المصادر اللغوية العدل - في مادة (عدل) بأنه: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور، ويقال: عَدَلَ عن الطريق عُدُولاً، مال عنه وانحرف.والعَدْلُ: الحكم بالحق، يقال: هو يقضي بالحق، ويعدل، والعَدْلُ والعِدْلُ والعَدِيلُ سواء، أي النظير والمثيل، فعِدل الشيء مثله من ضده، أو مقداره. والتعادل: التساوي، وعدَّلته تعديلاً فاعتدل: سوَّيته فاستوي، وعَدَلْتُ فلاناً بفلان، إذا سوَّيت بينهما، وتعديل الشيء، تقويمه، يقال: عدَّلته تعديلاً، فاعتدل، إذا قومته فاستقام.[٢٧] وفي الشرع كما عرفه الجرجاني في (التعريفات)": "هو عبارة عن الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط"[٢٨] ويقول في موضع آخر: "والعدل مصدر بمعنى العدالة، وهو عبارة عن الاستقامة على طريق الحق، بالاجتناب عما هو محظور ديناً".[٢٩]وفي واقع الأمر فإن هذا المصطلح لم يأخذ ذلك البعد الجدلي الفكري من حيث التعريف كما هو حال مصطلح الحضارة، فهو قديم بقدم الإنسان ؛ كونه قيمة أخلاقية و مطلب إنساني تبنى عليه مختلف الجوانب

---

(٢٥) الكلمات ص ٢٩٦.

(٢٦) الكلمات ص ٥٢٣.

(٢٧) انظر: ابن منظور. لسان العرب المحيط،.مج ٢ ص ٧٠٦، ٧٠٧؛ الرازي، محمد بن أبي بكر. مختار الصحاح، مكتبة البابي الحلبي، القاهرة ، ١٣٦٩هـ/ ١٩٥٠م، ص ٤٤٢- ٤٤٣.

(٢٨) الجرجاني. التعريفات ص ١١٠. (نسخة مصورة عن مكتبة المشكاة الالكترونية عبر موقعها على شبكة الانترنت)

(٢٩) التعريفات ص ١١٠.

الحياتية البشرية، خاصة في إطار العلاقة الإنسانية التي تقتضي وجود هذه العدالة للحفاظ على الحقوق الإنسانية وصيانتها - وهذا ما يوضحه الأستاذ النورسي كما سيأتي- ؛ لذا فإن هذا المصطلح - من حيث المبدأ- واضح ومتعارف عليه في كل الثقافات والبيئات واللغات خلال العصور المختلفة. غير أن هذا المصطلح أخذ- مع تتالي العصور وتنوع الأفكار والمذاهب والاتجاهات الفلسفية والكلامية- أبعادا ومراتب فكرية متشعبة. فلم يعد قاصرا على العدل بمعنى المساواة والعدل في مسألة الحكم والتحاكم- وهذا له مراتب أيضا-[٣٠] وعدل الإنسان بين زوجاته وأولاده وعلاقته بالدولة والحاكم والعكس...الخ. وقد ورد مصطلح العدل ومشتقاته في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، لبيان أهمية هذا المبدأ في الحياة، وهو المبدأ الذي شهد الله على نفسه به ﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُواْ الْعِلْمِ قَآئِمَاً بِالْقِسْطِ ..﴾ (آل عمران:١٨) وقامت على أساسه الشرائع السماوية المختلفة. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (فاطر:٢٤) ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ (الحديد:٢٥) ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاء رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ ﴾ (يونس:٤٧) يقول ابن قيم الجوزية " إن الله سبحانه وتعالى أرسل رسله، وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط، وهو العدل الذي قامت به الأرض والسماوات ، فإذا ظهرت إمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان ، فثم شرع الله ودينه" [٣١] وهو ما أمر به الله البشر تطبيقه في إطار ما أنيط بهم من تكاليف ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ ﴾ (لأعراف:٢٩) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ للهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (المائدة:٨) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء للهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ ﴾ (النساء:١٣٥) ﴿ إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ﴾ (يونس:٤)

ثانيا : مفهوم رسائل النور للعدالة.

لا يخرج مفهوم العدالة في رسائل النور عن ذلك المفهوم العام الذي سبقت الإشارة إليه، من حيث أن العدالة هي أساس كل الشرائع السماوية النازلة من عند الله ،

(٣٠) الواعي. الحضارة الإسلامية ص ٢٢٦ وما بعدها

(٣١) الطرق الحكمية في السياسة الشرعية قدم له وعرف به: محمد محي الدين عبد الحميد، وراجعه: أحمد عبد الحليم . دار الفكر . بيروت (د. ت) ص ١٦.

وأن العدالة تتمثل في كل جوانب الحياة وبالتالي فهي جوهر الحضارة كما سيتبين، من خلال عرض النقطتين التاليتين.

أ) علاقة العدالة بالشريعة: ورد مصطلح العدالة ومصدرها العدل في رسائل النور، بكثير من أبعاده، فمنها ما يأخذ بعدا خارجا عن إطار الفاعلية البشرية وتحكمها: يتمثل ذلك في العدالة الإلهية، التي يشير إليها الأستاذ النورسي بأكثر من مصطلح منها: الإلهية- الربانية – الأزلية – القرآنية – المحضة – المطلقة - عدالة القدر – الحقة - العامة ... وغيرها من المصطلحات التي تظهر عدل الله في الكون والبشر.[٣٢] في الوقت ذاته نجد إشارات إلى العدالة البشرية أي العدالة التي تدخل ضمن الفاعلية البشرية، وهذه هي التي يطلق عليها العدالة (الإضافية) أو (النسبية) – كما تم إيضاحه سابقا-. و يرى الأستاذ النورسي أن بعض صفات العدالة الإلهية قد تتحقق في عدالة البشر عند تطبيقها على الوجه الأمثل فتكون العدالة البشرية بذلك عدالة: محضة وتامة و حقة وخالصة و منصفة....[٣٣] وهذه العدالة البشرية التي تأخذ تلك السمات في تطبيقها، هي جوهر الحضارة التي تحقق السعادة البشرية في الدارين.[٣٤] والتي لا يمكن أن يبنى أي أساس من أسسها الصحيحة الإيجابية بمعزل عن تلك العدالة... وإذا ما استعد البشر لتنفيذ تلك العدالة فإن العدالة الإلهية بمختلف صفاتها وخصائصها تمد العدالة البشرية بالدعم من خلال بث إشعاعاتها في تلك العدالة، سواء بصورة قد نراها إيجابية أو سلبية... فقد تتجلى تلك العدالة من خلال ظلم البشر.[٣٥] لكنها في كل الأحوال - ومن منظور أبعد من النظرة البشرية السفلية أو الآنية- إيجابية.[٣٦] فهناك إذن ذلك التناغم الذي أشرنا إليه بين العدالة الأزلية

---

(٣٢) الكلمات ص ٥٠، ٥٧، ٦٨، ٧٠، ٨٨، ٩٠، ٩١ ، ١١٢، ١٩٦، ١٦٧، ٣٦١، ٥٣٥، ٥٤٤، ٦١٨، المكتوبات ص ٦٦، ٣٤٢، ٦٠٨، ٧١١، ٥٥٧، ٥٧٤، اللمعات ص ٥٢٦، المثنوي العربي ص ٩٠، ١٩. الشعاعات ص ٩٠، ٣٥، ٢٣٦، ٢٦٤ ، ٢٦٨ ،٣٤٧، إشارات الإعجاز ٥٣، ٦٦، ٨٦، ٨٧، ٩٩. سيرة ذاتية ص ٣١٢. ، ٣١٣،

(٣٣) المكتوبات ص ٦٦، ٦٧. ٣٤٨، اللمعات ٢٥٨، ٥٣٥، صيقل الإسلام ص٣٧٧ ،٤١١، الملاحق ص ٣٠١، ٣٧٧، سيرة ذاتية ص ٨٢، ١٠٨.

(٣٤) صيقل الإسلام ص٤٤١، ٥٢٣.

(٣٥) الملاحق ص ٢٨٣، ٣٦٨،

(٣٦) الإيجابية تتمثل في إعطاء الخالق كل ذي حق حقه لكل ما خلق بقدر حاجته ووظفته كما قدر له في خلقه ، أما السلبية فتتمثل في" تأديب غير المحقين، أي إحقاق الحق بإنزال الجزاء والعذاب عليهم .فهذا القسم وان كان لا يظهر بجلاء في هذه الدنيا إلا أن هنالك إشارات وإمارات تدل على هذه الحقيقة. خذ مثلاً سوطَ العذاب وصفعات التأديب التي نزلت بقوم عاد وثمود بل

(الإنسانية الكبرى)- التي تتجلى في حقيقة الإسلام - والعدالة الإنسانية (الصغرى).[٣٧] لترينا في نهاية المطاف تجل أكبر لاسم الله: (العدل) الذي يرى الأستاذ النورسي انه اسم الله الأعظم، وأحد أنواره الستة.[٣٨] والذي يتجلى في العدالة العامة الجارية في الكون، والتي تأمر البشرية بإقامة العدل في إطار ما كلفت به.[٣٩] وعلى ذلك فالعدالة هي جوهر الشريعة ورسالتها الحضارية للبشرية.

ب) علاقة العدالة بالحضارة: تتضح علاقة العدالة بالحضارة من خلال لدى الأستاذ النورسي من خلال رؤيته الفكرية الاجتماعية التي يشير فيها إلى أن العدالة ضرورة اجتماعية بحكم الطبيعة البشرية ومتطلباتها، والتي لا تتحقق إلا في ضوء تعاون اجتماعي، وهذا التعاون الاجتماعي يقتضي وجود عدالة في تبادل ثمرات السعي بين تلك المجتمعات، ولأن العقل الفردي لا يستطيع إدراك تلك العدالة، فإن حاجة الاجتماع الإنساني بحاجة إلى عقل كلي يراعي الحقوق لتلك التجمعات ويضبط شهوات نفوس الأفراد وأطماعها، وما ذلك العقل الكلي إلا الشريعة. [٤٠] التي شيدها وأرسى قواعدها الأنبياء[٤١] – صلوات الله وسلامه عليهم- والتي نقطة استنادها"... الحق بدلاً من القوة. والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المحبة والتجاذب. وجهة الوحدة فيها والرابطة التي تربط بها المجموعات البشرية: الرابطة الدينية، والوطنية، والمهنية بدلاً من العنصرية. وهذه شأنها: الأخوة الخالصة، والسلام والوئام، والذود عن البلاد عند اعتداء الأجانب. ودستورها في الحياة: التعاون بدل الصراع والجدال، والتعاون من شأنه التساند والاتحاد." [٤٢] إن هذه العدالة التي تمثل حقيقة الشريعة، تتمثل في مختلف جوانب حياة البشر.. وعلى مختلف الصعد والمستويات... فالعدل داخل في

بالأقوام المتمردة في عصرنا هذا، مما يظهر للحدس القطعي هيمنة العدالة السامية وسيادتها." (الكلمات ص ٩١)

(٣٧) صيقل الإسلام ص ٥١.

(٣٨) اللمعات ص ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٩٢، الملاحق ص ١٦٨.

(٣٩) اللمعات ص ٥٢٦.

(٤٠) إشارات الإعجاز ص ١٤٧. صيقل الإسلام ص ١٣٨.

(٤١) صيقل الإسلام ص ١٣٩.

(٤٢) سيرة ذاتية ١٤١. المكتوبات ص ٦٠٧. صيقل الإسلام ص ٣٥٩. ٥٣٣. اللمعات ص ٢٥٨.

منظومة الحياة الإنسانية المتكاملة. وبذلك فالعدالة هي جوهر وروح الحضارة الحقيقية المثلى التي هي غاية خلق الإنسان وسعادته.[٤٣] وهي الرسالة الحضارية للإسلام.[٤٤]

٢. ٢. البعد التاريخي والنموذج الحضاري.

٢. ٢. ١. تفسير حركة التاريخ : نجدها مناسبة هنا للإشارة إلى البعد التفسيري المتوازن للتاريخ لدى الأستاذ النورسي وفق المنهج الإسلامي أو النظرة الإسلامية لتفسير التاريخ، حيث يرى أن الحدث التاريخي ليس من فعل الإنسان وحسب ، بل إن يد الإنسان ويد القدر الإلهي (العدالة الإلهية) موجودان في كل حادثة معا. وهذه: "قاعدة أساس في رسائل النور: إن في كل حادثة يد الإنسان ويد القدر معاً، ولكن الإنسان يظلم حيث ينظر إلى السبب الظاهري، بينما القدر يعدل لأنه يرى السبب الخفي لتلك المصيبة." [٤٥] وهكذا فإن العدالة التاريخية متدخلة في الفعل الإنساني للحدث التاريخي بصورة عادلة وهي الأصل في سير الحدث" انه مهما كان الإنسان فاعلا ذا اختيار إلا أن المشيئة الإلهية هي الأصل، والقدر الإلهي حاكم مهيمن والمشيئة الإلهية ترد المشيئة الإنسانية،بمضمون قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله﴾ (الإنسان:٣٠) وإذا جاء القدر عمي البصر، فينفذ حكمه، وإذا ما تكلم القدر تسكت القدرة البشرية، ويصمت الاختيار الجزئي"[٤٦] وهذه العدالة قد لا يلتمسها كثير من الناس.[٤٧] لذلك فإن المؤرخين لما اغفلوا هذا الجانب أعطوا للأحداث التي دونوها بعدا سطحيا ما جعل تعليلاتهم السطحية المباشرة تجانب الصواب. و على ضوء هذه

---

(٤٣) يرى سيد قطب بأن (الإسلام هو الحضارة) وعنون بذلك أحد فصول كتابه (معالم في الطريق) الذي بين فيه أن الإسلام هوالحضارة الحقيقية وأن المجتمع الإسلامي الذي يطبق مبادئ الإسلام وأسسه هو وحده المجتمع المتحضر وما عداه مجتمعات جاهلية ليست حضارية.. انظر: قطب، سيد. معالم في الطريق. ط١٥، دار الشروق. القاهرة ١٤١٦هـ/ ١٩٩١م ، ص ١١٦ وما بعدها..

(٤٤) يرى الدكتور/ يوسف القرضاوي في كتابه (حاجة البشرية إلى الرسالة الحضارية لامتنا. ط١. مكتبة وهبة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م ص ٧١) إلى أن" الإسلام هو الحضارة المثلى الذي تقاس إليه الحضارات المختلفة، ليعرف صوابها من خطئها وأصيلها من زائفها.... وإن لدى أمتنا رسالة حضارية متميزة تستطيع أن تقدمها للعالم الذي تدل كل الدلائل على أنه في أشد الحاجة إليها".

(٤٥) الملاحق ص ١٩٧.

(٤٦) المكتوبات ص ٦٤.

(٤٧) " ولقد ثبت بتجارب أن يد العناية الإلهية ورحمته تعالى موجودة في كل المصائب التي نزلت برسائل النور لحد الآن" (صيقل الإسلام ص ١٩٧)

الرؤية التفسيرية للتاريخ.[٤٨] عرض الأستاذ النورسي بعض أحداث التاريخ بتفسيره ذلك، مثل: غزوة بدر وأحد والحديبية وفتح مكة،وحنين، ومسألة الخلافة وأحقيتها.. وأحداث الفتنة وعواملها،[٤٩] ومعارك الجمل وصفين وعلاقة بني أمية بالعلويين ... وهزيمة المسلمين في بعض المعارك... وغيرها من الأحداث التاريخية التي يمكن الرجوع إليها في مواضعها لعدم احتمال ذكرها هنا.[٥٠]

---

(٤٨) حول مزيد من التوضيح حول تفسير حركة التاريخ في ضوء رسائل النور، هناك مؤلف لطيف للأستاذ الكريم / أديب الدباغ : بعنوان: (حركة التاريخ بين النسبي والمطلق في رسائل النور) بين فيه بجلاء رؤية الأستاذ النورسي لحركة التاريخ، وهي الرؤية الإسلامية. والكتاب مطبوع عن مطبعة الزهراء، الموصل ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م. وقد زودني الأستاذ / إحسان قاسم الصالحي بنسخة منه، فجزاه الله خير الجزاء.

(٤٩) على سبيل المثال، ففي رده على سؤال حول حكمة الفتنة التي أصابت الأمة الإسلامية في عصر الراشدين وهو خير القرون حيث لايليق بهم القهر ونزول المصائب، ومكمن الرحمة الإلهية فيها: فيجيب بقوله: " كما أن الأمطار الغزيرة المصحوبة بالعواصف في الربيع تثير كوامن قابليات كل طائفة من طوائف النباتات وتكشفها فتنثر البذور وتطلق النوى، فتتفتح أزهارها الخاصة بها، ويتسلم كلٌّ منها مهمته الفطرية، كذلك الفتنة التي أبتلي بها الصحابةُ الكرام والتابعون رضوان الله عليهم أجمعين، أثارت بذور مواهبهم المختلفة، وحفّزت نوى قابلياتهم المتنوعة، فأنذرت كلَّ طائفةٍ منهم وأخافتهم من أن الخطر مُحدقٌ بالإسلام ، وان النار ستنشب في صفوف المسلمين؛ مما جعل كلَّ طائفة تهرع الى حفظ الدين والذود عن حياض الإيمان، فأخذ كلٌ منهم على عهدته مهمةً من مهمات حفظ الإيمان وجمع شمل الإسلام، كلٌ حسب قابليته، فانطلق بكل جدٍ وإخلاص في هذا السبيل. فمنهم من قام بحفظ الحديث النبوي الشريف، ومنهم من قام بحفظ فقه الشريعة الغراء، ومنهم من قام بحفظ العقائد والحقائق الإيمانية، ومنهم من قام بحفظ القرآن الكريم.. وهكذا انضوت كلُّ طائفة تحت مهمةٍ وواجب من الواجبات التي يفرضها حفظ الإيمان وصيانة الإسلام، وسَعَتْ في سبيل أداء مهمتها سعياً حثيثاً، فتفتحت من البذور التي نشرتها تلك الأعاصير الهوجاء العنيفة في الإرجاء، زهورٌ بهيجة بألوان زاهية شتى في عالم الإسلام، حتى غدا العالم الإسلام ي رياضاً يانعة بالورود والرياحين. إلا انه- للأسف - ظهرت بين تلك الرياض البديعة أشواكُ أهل البدع أيضا. وكأن يد القدرة الإلهية قد خضَّتْ ذلك العصر بجلال وهيبة، وإدارته بشدة وعنف، فأثارت الهمم وألهَبت المشاعر لدى أهل الهمة والغيرة، فبعثت تلك الحركة المنطلقة عن المركز؛ كثيراً من أئمة المجتهدين والمحدّثين والحفاظ والأصفياء والأقطاب الأولياء الى أنحاء العالم الإسلامي وألجأتهم الى الهجرة. وهيّجت المسلمين شرقاً وغرباً وفتحت بصيرتهم ليغنموا من كنوز القرآن وخزائنه". (الكلمات ص ١٢٩)

(٥٠) انظر: المكتوبات ص ٦٦. ٦٧، ٦٩، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٨، ١٣٩، الكلمات ٥٢٨، اللمعات ص ٣٣ وما بعدها، ٤٠وما بعدها، ٤٥، ١٣٤، ٤٢٧، الشعاعات ص ١٢٠، ٣٠٥، ٣٥٦، ٤١٧، ؛ الملاحق ٢٩٦، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ١٤٤، صيقل الإسلام ٥٣٥.

٢. ٢. ٢. أهمية العرض التاريخي في القرآن. يؤكد الأستاذ النورسي على أهمية البعد التاريخي القرآني فيما يورده من إشارات تاريخية، يستفيد منها الإنسان في كل زمان ومكان؛ لأن تلك الحوادث جزء من السنن الإلهية العامة الثابتة في الكون والبشر" فعلى الرغم مما يُرى من اختلاف بعضها عن البعض الآخر صورةً ونوعاً، فإنها تتشابه في الانتظام والإبداع وإبراز قدرة الصانع وحكمته."[٥١] ويقول عما يعرضه القرآن الكريم من شواهد تاريخية جزئية: "إن في القرآن الحكيم حوادث جزئية، ولكن وراء كل حادث يكمن دستور كلي عظيم. وإنما تُذكر تلك الحوادث لأنها طرف من قانون عام شامل كلي وجزء منه."[٥٢] ... "إن الحوادث الجزئية المذكورة في القرآن الكريم، على صورة حوادث تاريخية، إنما هي طرف وجزء من دساتير كلية شاملة ينبئ عنها"[٥٣] وعلى ضوء ذلك يعرض نموذجا تاريخيا موجها للحكام بدرجة أساس، إذ لما كان الجزء الأكبر من تحقيق العدالة البشرية - التي هي جوهر الحضارة- يقع على عاتق قادة الأمة بمختلف مهامهم.والقرآن الكريم هو خير مصدر يمدنا بتجارب تاريخية في هذا الصدد.. من ذلك – على سبيل المثال- ما يخبرنا عما أوتي نبي الله سليمان من الملك والنبوة بسبب صلاحه وعلاقته المخلصة التي أساسها العدل مع الله، فكان من نتيجة ذلك أن مكنه الله من تحقيق العدل في رعيته فشاع العدل أرجاء مملكته.[٥٤] وهو بذلك يدعو الحكام – الراغبين في تحقيق العدل في دولهم وممالكهم - إلى التأمل في هذا النموذج التاريخي الذي عرضه القرآن الكريم ليكون مجالاً للاقتداء. وموضحا أن الإشارات القرآنية التي بينت ما أعطاه الله لنبيه سليمان من فيوضاته الربانية،[٥٥] تنادي الحكام الذين يريدون أن تسود العدالة ممالكهم الاقتداء

---

(٥١) الكلمات ص ٩٠. وحول نظرة الأستاذ النورسي للعرض التاريخي في القرآن المتمثل في إيراد معجزات الأنبياء، يقول " إن القرآن الكريم بإيراده معجزات الأنبياء إنما يخط الحدود النهائية لأقصى ما يمكن أن يصل إليه الإنسان في مجال العلوم والصناعات، ويشير بها إلى أبعد نهاياتها، وغاية ما يمكن أن تحققه البشرية من أهداف، فهو بهذا يعيّن أبعد الأهداف النهائية لها ويحددها، ومن بعد ذلك يحث البشرية ويحضّها على بلوغ تلك الغاية، ويسوقها إليها. إذ كما أن الماضي مستودع بذور المستقبل ومرآة تعكس شؤونه، فالمستقبل أيضا حصيلة بذور الماضي ومرآة آماله.

(٥٢) الكلمات ص ٢٧٠.

(٥٣) الكلمات ص ٢٧١.

(٥٤) الكلمات ص ٢٨٣.

(٥٥) منها: (قالَ الذي عندهُ علمٌ من الكتابِ أنا آتيك به قبلَ أن يرتدّ إليك طرفُكَ فلما رآهُ مستقراً عندهُ..) (النمل:٤٠) و (وأسَلنا له عَينَ القِطرِ) (سبأ:١٢)

بذلك النموذج.[٥٦] وليس ذلك التوجيه يخص القادة والحكام وحسب، بل إن البشر جميعا على اختلاف مواقعهم، بحاجة إلى أن يستمدوا من تلك الآيات وغيرها ما يمكنهم من تحقيق العدالة المناطة بهم في مختلف شؤون حياتهم.[٥٧]

٢. ٢. ٣. النموذج الحضاري من واقع التاريخ الإسلامي: بما أن الشريعة الإسلامية التي حملها جميع الأنبياء والرسل إلى أممهم، هي الرسالة الحضارية للبشرية على مر العصور، فإن حضارة تلك الأمم التي اتخذت من تلك الشريعة منهجا لها، ما هي إلا انعكاس لحضارية وعدالة تلك الشريعة التي تتجلى واقعيتها بتناسبها مع ظروف كل عصر.[٥٨] ولما كانت أمة الإسلام المحمدية هي التي حملت خلاصة تلك الشرائع السماوية السابقة وحضاراتها، فإنها قد طبقت أسس الإسلام الحضارية بكل صورها في فترات مختلفة من تاريخها- كما يشهد التاريخ-. لقد كان رسول الله ρ – خير من تمثل فيه تطبيق العدالة البشرية بصورتها المحضة والتامة، طبقها في مختلف جوانب حياته ابتداء بعلاقته بربه ثم علاقته بنفسه وحقوقها،علاقته بأسرته وأصحابه ورعاياه ، علاقته بما حوله من مخلوقات من جمادات ونباتات وحيوانات، ومع القوى الغيبية أيضا...إنه النموذج الأمثل لتطبيق العدالة البشرية المحضة، التي تمثل جوهر

---

(٥٦) الكلمات ص ٢٨٣- ٢٨٤.

(٥٧) في بيانه إلى ما تشير إليه هذه الآية:(قالَ الذي عندهُ علمٌ من الكتابِ أنا آتيك به قبلَ أن يرتدّ إليك طرفُكَ فلما رآهُ مستقراً عندهُ..) (النمل:٤٠) يبين الأستاذ النورسي أن الخالق – جل جلاله – يخاطب البشر بها قائلا في معناها الرمزي: " يا بني آدم! لقد آتيتُ عبداً من عبادي حُكمَ مملكة واسعة شاسعة الأرجاء، ومنحته الاطلاع المباشر على أحوال الأرض وأحداثها ليتمكن من تطبيق العدالة تطبيقاً كاملاً، ولما كنتُ قد وهبت لكل إنسان قابلية فطرية ليكون خليفة في الأرض، فلا ريب أني قد زوّدتُه - بمقتضى حكمتي - ما يناسب تلك القابلية الفطرية من مواهب واستعدادات يتمكن بها من أن يشاهد الأرض بأطرافها ويدرك منها ما يدرك." ويضيف الأستاذ النورسي في دعوته للإنسان نحو السعي في تحقيق غاية ما خلق من اجله:" وعلى الرغم من أن الإنسان قد لا يبلغ هذه المرتبة بشخصه إلا انه يتمكن من بلوغها بنوعه. وان لم يستطع بلوغها مادياً، فانه يبلغها معنوياً - كما يحصل للأولياء الصالحين - فباستطاعتكم اذاً الاستفادة من هذه النعمة الموهوبة لكم. فسارعوا إلى العمل الجاد واسعوا سعياً حثيثاً كي تحوّلوا الأرض إلى ما يشبه حديقة صغيرة غنّاء، تجولون فيها وترون جهاتها كلها وتسمعون أحداثها وأخبارها من كل ناحية منها غير ناسين وظيفة عبوديتكم. تدبروا الآية الكريمة: (هوَ الذي جعلَ لكمُ الأرض ذلولاً فامشوا في مناكِبها وكُلوا مِن رزقه واليه النشور) (الملك:١٥)" (الكلمات ص ٢٨٤.)

(٥٨) قاسم، عون الشريف. الإسلام والثورة الحضارية ط٢، دار الجيل. بيروت. ١٤١١هـ/١٩٩١م ص ٥٣.

وروح رسالته التي بعث بها وهي الحق الذي يمثلها القرآن الكريم ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (الإسراء: ١٥) وهذا الحق هو الرحمة بكل أبعادها ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (الأنبياء:١٠٧) وإذا لم يعدل الرسول ρ، فمن يعدل إذن ؟!! ويستشهد الأستاذ النورسي في الإجابة على هذا السؤال- الذي طرحه الرسول ρ نفسه، عندما طلب منه أحد الأعراب أن يعدل ، فأجابه" "ويلك فمن يعدل إذا لم أعدل؟ " - بنص الحديث الذي جاء في كتب الصحاح عن هذا الموقف.(٥٩) ليوضح من خلاله أن العدل غاية الشريعة الإسلامية في البشرية ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ ﴾ (المائدة: ٤٩) ﴿ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ (الشورى :١٥) وأن رأس الأمة يجب أن يكون خير من يمثل العدل بكل جوانبه ، ويجب على الأمة الامتثال له ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً ﴾ (النساء:٦٥) ويرى الأستاذ النورسي أن السلف الصالح ساروا على نهج مدرسة العدل النبوية؛ فحققوا بتلك المسيرة نموذجا فريدا في نظام الحكم والحياة عموما.(٦٠) و يتمنى على الحكومات الإسلامية السير على نهجه من حيث ثوابته الإسلامية مع الأخذ بالاعتبار فارق مسميات ومتغيرات ونظم وإجراءات كل عصر وهي من المتغيرات الحضارية التي تواكب ظروف العصر، ولكنها تدور في فلك

---

(٥٩) نص الحديث الذي أورده كما يلي: روى البخاري (٢٤٣/٤) ومسلم (٧٤٤/٢-٧٤٥): عن أبي سعيد الخدري: قال: بينما نحن عند رسول الله ρ وهو يقسم قسماً، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله أعدل. فقال: "ويلك فمن يعدل إذا لم اعدل؟ قد خبت وخسرت إن لم أكن اعدل " فقال عمر: ائذن لي أن اضرب عنقه. فقال: "دَعْهُ، فإن له أصحابا يحقُر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظُر إلى نصله إلى رُصافه إلى نفيه وهو قدحه، إلى قذذه فلا يوجد فيه شئ قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل اسودُ أحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على خير فرقة من الناس " قال أبو سعيد: اشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ρ واشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمس، فأتى به، حتى نظرت إليه على نعت النبي ρ الذي نعته ".(المكتوبات ص ١٢٦ هامش ٨)

(٦٠) الكلمـــات ص ٢٠٥، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩١، ٥٢٨، ٥٦٧، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٠؛ اللمعات ٤٢، ٤٥....

ثوابت الحضارة الإسلامية التي لا يمكن تجاوزها.[٦١] ففي معرض حديثه حول رؤيته السياسية لنظام الحكم (الجمهوري العلماني) الذي قام في تركيا إثر إسقاط نظام الخلافة، أكد مناصرته للنظام الجمهوري الذي يقوم في ظل بقاء الخلافة الإسلامية ويستند في حكمه الدستور (المشروطية)[٦٢] التي تستند على أساس الشورى والحرية التي من خلالها تتحقق العدالة المتمثلة في إقامة شرع الله الذي يجب على كل مسلم أن يضحي من أجله.[٦٣] وهذا النظام - برأيه- هو ذاته النظام الذي سار عليه السلف الصالح، حيث قال:" لقد كان الخلفاء الراشدون خلفاء ورؤساء جمهورية في الوقت نفسه فالصِّديق الأكبر (رضي الله عنه) كان دون شك بمثابة رئيس جمهورية للعشرة المبشرة وللصحابة الكرام. ولكن ليس تحت عنوان او شكل فارغ، بل كل منهم رئيس جمهورية متدين يحمل معنى العدالة الحقيقية والحرية الشرعية.[٦٤]" ويؤكد الأستاذ النورسي بأن جيل الصحابة كانوا على وعي تام بأسس وجوهر تلك الرسالة الحضارية الواقعية التي تحقق متطلبات الإنسان بصورة متوازنة بين متطلبات الروح والجسد والدنيا والآخرة، وتقوم على العقلانية والشورى والتعايش والمحبة والتكافل والحرية

---

(٦١) يرى الدكتور علي عبد الحليم محمود، أن الحضارة الإسلامية تقوم على ثوابت ومبادئ أساسية ومتغيرات في إطار تلك الثوابت وهذا ما تميزها عن غيرها من الحضارات وبها تظل قادرة أبدا على تحقق للإنسانية ما يصلح معاشها ومعادها، وهذه المبادئ والثوابت لايمكن تغييرها في أي عصر وتحت أي ظرف هذه الثوابت هي العقيدة او الإيمان، والعمل الذي يتمثل في الإسلام والإحسان والعدل والشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيم الأخلاقية الإسلامية والجهاد في سبيل الله .أما المتغيرات فهي تنشأ في مظاهر ووسائل وسمات الحضارة المادية وبما يتناسب مع ظروف وواقع كل عصر غير أن تلك المتغيرات لاتخرج عن إطار الثوابت ومقاصدها. (التراجع الحضاري ص ٤٦ وما بعدها)

(٦٢) كان "يرى أن المشروطية الشرعية وسيلة نجاةٍ من تلك الاستبدادات المرعبة. لذا سعى في تأييدها بالحرية الشرعية والشورى ضمن نطاق أحكام القرآن" (صيقل الإسلام ص ٣٨٢)

(٦٣) يقول رادا على من اتهموه بمطالبته تطبيق الشريعة: "لو كان لي ألف روح، لكنت مستعداً لأن أضحي بها في سبيل حقيقة واحدة من حقائق الشريعة، إذ الشريعة سبب السعادة وهي العدالة المحضة وهي الفضيلة. أقول: الشريعة الحقة لا كما يطالب بها المتمردون.." (سيرة ذاتية ص ١٠٨)

(٦٤) الشعاعات ٤٢٥- ٤٢٦- سيرة ص ٥٤. ويقدم الأستاذ النورسي وجهة نظره في الحكم ونظامه من خلال عدد من الرسائل التي أورد ها خاصة في (السيرة الذاتية، و صيقل الإسلام، والملاحق) والتي بين فيها ما تعرض له وطلابه من تهم وسجن ومحاكمات بتهمة معارضته النظام وسعيه لإنشاء جمعية سياسية.

والعدالة[٦٥]، فطبقوها في واقع حياتهم خاصة مجتمع القرون الهجرية الأربعة الأولى حتى أنهم - في رأيه- سبقوا أهل الحضارة الحديثة في الأخذ بأسباب العيش الدنيوي .[٦٦] وهذا هو الذي منحهم التمكين الحضاري في الأرض وفي وقت قصير: "... فصاروا في زمن يسير أساتذة مرشدين وسياسيين وحكاماً عادلين لأرقى الأمم حضارة وعلماً واجتماعاً وسياسةً، فحكموا العالم شرقاً وغرباً ورفرفت رايات عدالتهم براً وبحراً."[٦٧] وذلك بالحق والعلم والحمية والهدى، وليس بالقوة أو بالشكوك والشبهات والهوى والتعصب – كما هو حال حضارة اليوم[٦٨] ولم يكن للعصبية ولا السفسطة والفلسفات الخيالية ولا الاستبداد والتعصب - وغيرها من الصفات المذمومة في نظر الشرع، المنافية للأخوة الإسلامية، مفرقة للانتساب الجنسي (الإنساني)- مكان في تلك الحضارة القائمة على أساس العدالة.[٦٩] " فالحرية والعدالة والمساواة التي كانت يترفل بها خير القرون والخلفاء الأربعة، ولاسيما في ذلك الوقت، دليل على إن الشريعة الغراء جامعة لجميع روابط المساواة والعدالة والحرية الحقة. فآثار سيدنا عمر وسيدنا علي رضي الله عنهما وصلاح الدين الأيوبي دليل وأي دليل على هذا الادعاء."[٧٠] كما أن تلك العدالة الحضارية لم تتحقق في إطار متقوقع داخل كيان المجتمع الإسلامي وحسب، بل إنها مورست مع غير المسلمين سواء أكانوا من أهل الذمة أم من المعاهدين ، بل وحتى في حالة الحرب مع أعداء الحق.[٧١] وهم بتلك المسيرة الحضارية قد ضربوا أروع الأمثلة عن الرسالة الحضارية للشريعة الإسلامية الإنسانية، والذي يتجلى من خلالها أن الأصل في التعامل مع غير المسلمين - الذين ينظرون إلى الإسلام بمنظور الجهل والعداء والتعصب - هو الحوار والتعايش والسلام " ... فالإسلام مع اضطراره إلى معاداة

---

(٦٥) " إن صدى الحرية والعدالة ينفخ نفخ إسرافيل فيبعث الحياة في مشاعرنا المدنية وآمالنا الخامدة ورغباتنا القومية الرفيعة وأخلاقنا الإسلامية الحميدة، حتى يرن صماخ الكرة الأرضية المجذوبة جذبة المولوي، ويهيج الأمة جميعاً ويهزها هزّ المجذوب." (صيقل الإسلام ص ٤٦٦)

(٦٦) الكلمات ص ٥٨١.

(٦٧) المكتوبات ص ٢٨٦.

(٦٨) صيقل الإسلام ص ١٥.

(٦٩) صيقل الإسلام ص ٥١.

(٧٠) صيقل الإسلام ص ٤٧٠، ٤٧١. ، ٧٤١.

(٧١) الشعاعات ص ٤١٧.

الجهل والهمجية إلا أنه قد حافظ على العدالة والاستقامة معهم فلم يُرَ في التاريخ الإسلام ي أمثال محاكم التفتيش... إن الظهور على المدنيين من منظور الدين إنما هو بالإقناع وليس بالإكراه. وبإظهار الإسلام محبوباً وسامياً لديهم وذلك بالامتثال الجميل لأوامره وإظهار الأخلاق الفاضلة. أما الإكراه والعداء، فهما تجاه وحشية الهمجيين."[٧٢] و ويؤكد الأستاذ النورسي في أكثر من مناسبة على إنسانية وواقعية ورقي حضارة الإسلام ونفي التعصب والتقوقع عنها، وأنها حضارة منفتحة على كل الحضارات وأنها تقبل الأخذ بمختلف التجارب والنماذج الحضارية التي تتوافق مع مبادئها ومقاصدها فيما يحقق مصلحة ورقي البشرية، وأن التاريخ الإسلام ي يشهد على ذلك التمازج والتكامل الحضاري الذي يميز إنسانية وعالمية تلك الحضارة، وعلى ذلك فإنه يرى أن تلك الجوانب الإيجابية- التي تخدم البشرية من الحضارة والمدنية الأوربية وغير الأوربية ، يمكن للأمة الإسلامية التعامل والتعايش والتعاطي معها؛ مادام هذا التعايش في إطار السلام والصداقة... مما لا يدخل ضمن النهي القرآني، وما يحقق الأمن والنظام للبلاد الإسلامية، مشيرا إلى أن الصحابة أقاموا علاقتهم مع غير المسلمين على هذا الأساس، ولكن في ظل يقظة ووعي ديني.[٧٣]

٢. ٣. الواقع الحضاري المعاصر.

لا تكتمل الصورة بمجرد عرض المفهوم الحضاري وبعده التاريخي في فكر الأستاذ النورسي إلا من خلال ربط ذلك بواقع البشرية المعاصر كما رآها على عهده- والذي لا يبتعد كثيرا عن واقع عصرنا- لذا فسنعرض لرؤيته للواقع الحضاري للمسلمين أولا ولغير المسلمين ثانيا، لمعرفة مدى تطابق هذا الواقع مع ذلك المفهوم الذي عرضنا له أعلاه.

٢. ٣. ١. الأمة الإسلامية.

رغم أن الأمة الإسلامية تمتلك المقومات الحضارية الإيجابية... ولها رصيد حضاري تاريخي متميز عما سواه من تواريخ الأمم الأخرى في مختلف جوانب الحضارة الإنسانية.[٧٤] إلا أن حالها اليوم قد تبدل، وأصابها الوهن واليأس القاتل،

(٧٢) صيقل الإسلام ص ٥٣٥.
(٧٣) صيقل الإسلام ص ٤٠٠.
(٧٤) انظر: محمود. التراجع الحضاري ص ٥٨ وما بعدها، ص ١٦٦ وما بعدها.

فتراجعت عن ذلك الدور الحضاري الريادي؛ لابتعادها عن الدين.[٧٥] وصارت أمم أخرى - كانت تعيش حياة البؤس والتخلف - هي التي تتولى ريادة الدور الحضاري ولكن في جانبه السلبي في الغالب. ومع ذلك فإن الأمة المسلمة صارت عالة على تلك الحضارة التي أخذت تقتبس منها كل شؤون حياتها، والى ذلك يشير النورسي إلى النموذج السياسي التركي – في تلك الفترة- بقوله : " نعم، إن السياسة الحاضرة لاستانبول شبيهة بالأنفلونزا تسبب الهذيان. فنحن لسنا متحركين ذاتياً، بل نتحرك بالوساطة. فأوروبا تنفخ ونحن نرقص هنا، فهي تلقّن بالتنويم- المغناطيسي - ونحن نتصورها نابعة من أنفسنا ونجري اثر تلقينها بتخريب أعمى أصم. فمادام المنبع في أوروبا فالتيار القادم إما سيكون تياراً سلبياً أو إيجابياً." [٧٦] وكلا التيارين سلبيين . موضحا أن أهم أسباب ذلك الركود الحضاري الذي تعيشه أمة الإسلام يعود إلى الابتعاد عن أحكام الشريعة وما افرزه ذلك من أسباب أخرى.[٧٧] وفي الخطبة الشامية التي ألقاها (الأستاذ النورسي) على منبر الجامع الأموي في دمشق، بين فيها أسباب ما أصاب الأمة الإسلامية من أمراض أوقفت مسيرتها الحضارية وجعلتها تقف "على أعتاب القرون الوسطى" في الوقت الذي طار فيه الأجانب - وخاصة الأوربيين - نحو المستقبل." [٧٨] وتلك الأمراض هي: اليأس، وموت الصدق في الحياة الاجتماعية والسياسية، والجهل بالروابط النورانية بين المؤمنين، والاستبداد الذي يشكل مرتعاً خصباً للأمراض المعدية الفتاكة، وحصر الهمة في المنفعة الشخصية.[٧٩] وقدم في تلك الخطبة العلاجات النافعة لتلك الأمراض الفتاكة.[٨٠]

---

(٧٥) حول عوامل الانحسار الحضاري للمسلمين. انظر: الواعي. الحضارة الإسلامية ٦٧٥ وما بعدها؛ محمود. التراجع الحضاري. ١٩٩ وما بعدها؛ البوطي. منهج الحضارة الإنسانية ١٥٧ وما بعدها.

(٧٦) صيقل الإسلام ص ٣٦.

(٧٧) يشير الأستاذ النورسي (صيقل الإسلام ص ٤٧١) إلى أن أسباب التراجع الحضاري للمسلمين تكمن فيما يلي: ١-عدم مراعاة أحكام الشريعة الغراء.٢- تصرفات بعض المداهنين تصرفاً عفوياً.٣- التعصب المقيت في غير محله سواءً لدى عالم جاهل أو جاهل عالم!٤- تقليد مساوئ المدنية الأوروبية تقليداً ببغائياً - بسوء حظنا او سوء اختيارنا - مما ولّد تركنا لمحاسن المدنية التي تستحصل بمشكلات ومصاعب. فلو قام الموظفون خير قيام بوظائفهم وسعى الآخرون حسب الظروف المحيطة وما يتطلبه الزمان الحاضر، فلن يجد احد متسعاً من الوقت للسفاهة. ولو انهمك أي منهما بها فلا يكون إلا جرثومة خطرة في جسم المجتمع.

(٧٨) صيقل الإسلام ص ٤٩١.

(٧٩) صيقل الإسلام ص ٤٩٢.

(٨٠) صيقل الإسلام ص ٤٢٩ وما بعدها.

٢. ٣. ٢. المجتمع الغربي.

لا ينظر الأستاذ النورسي إلى الحضارة الغربية نظرة تشاؤمية صرفة، بل ينظر إليها بواقعية تحليلية، فهناك حسنات لهذه الحضارة متمثلة بمحاسن مدنيتها وهي ما يجب على المسلمين الاقتداء بها والتعاطي معها وتقليدها، وهناك سيئات لتلك الحضارة - وهي أكثر من حسناتها-. وعلى ذلك فقد قسَّم أوربا حضاريا ومدنيا إلى قسمين... - الثانية سيأتي الحديث عنها- أما الأولى فهي: "أوربا النافعة للبشرية، بما استفاضت من النصرانية الحقة، وأدّت خدماتٍ لحياة الإنسان الاجتماعية، بما توصلت إليه من صناعاتٍ وعلومٍ تخدم العدل والإنصاف."[٨١] ويفسر مظاهر النهضة المدنية الأوربية إلى ما تمتلكه أوربا من موقع وطبيعة جغرافية متميزة وفيرة الموارد، جذبت إليها أعدادا بشرية هائلة في رقعتها الضيقة فاتجهت نحو الصناعة والتجارة لتوفر المواد الخام والموانئ التجارية ، وقد ساعد الجو البارد لأوربا على الصبر والثبات في العمل الأمر الذي أطال أمد مدنيتهم ، ثم قيام دولهم على أساس عصبي عرقي وقومي، وتعصب بغيض تمثل بمحاكم التفتيش .. هذا أدى إلى التنافس ونمى استعداداتهم وفجر قابلياتهم فظهرت لديهم مظاهر المدنية، التي استندوا إليها والتي رفعت من شأن النصراني وأمدته بالعزيمة والقوة.[٨٢] ويمكن أن تتضح رؤية الأستاذ النورسي لواقع الحضارة الغربية التي اقتبس المسلمون منها الكثير – غث وسمين- من خلال رؤيته لوجهها الآخر - السلبي- الذي امتهنت فيه حقوق الأكثرية في سبيل الحفاظ على مصالح الأقلية. إن صورة تلك الحضارة هي المدنية الظالمة التي تلبس لبوس الإنسانية وهي ابعد ما يكون عنها، إنها المدنية التي يطلق عليها الأستاذ النورسي: الدنية- بحذف الميم- والسفيهة والخبيثة و الظالمة- المشؤومة ... وغيرها من النعوت المعبرة عن جوهرها ... إشارة إلى تدني أهدافها وقيمها عن مستوى الإنسانية لتصل أحيانا إلى مستوى الحيوانية وأدنى منها منزلة. إن طغيان هذه الحضارة والمدنية (الدنية) التي امتد أثرها إلى أمة الإسلام - قد عايشها الأستاذ النورسي وشاهدها من حوله وعلى أرضه وطالته وطلابه ورسائل النور بالسوء.[٨٣] ففي خطابه إلى أوربا الثانية التي: "حَسِبتْ سيئات الحضارة حسناتٍ لها، وتوهّمت مساوءها فضائل. فساقت البشرية إلى

---

(٨١) اللمعات ص ١٧٦.

(٨٢) صيقل الإسلام ص ٣٦٩.

(٨٣) الكلمات ص ٣٢١.، المكتوبات. ص ٤٩، اللمعات ص ١١٨. ١٧٦، ١٧٧، الشعاعات ص ٤٩١. الملاحق ص ١١٤، ١٢٢، ١٧٢، صيقل الإسلام ص ٤٦١، سيرة ذاتية ٢٨٧، ٤٧٠

السفاهة وأردتها الضلالة والتعاسة." [٨٤] يشير إلى أن تلك الحضارة او المدنية التي تظهر الوجه القبيح لرؤساء أوربا- عبيد المدنية- الذين تقنعوا بقناع الإنسانية، وتسلطوا على الشعوب ومقدرتها في سبيل تحقيق مصالحهم المادية مستخدمين في ذلك أبشع صور الهمجية والوحشية [٨٥] لقد : "أذاقت البشرية في هذا العصر آلاماً جهنمية حتى صرخت في كل مكان: لتعش جهنم!" [٨٦] هكذا - وبقوة – يهاجم الأستاذ النورسي تلك الحضارة التي امتهنت الإنسانية وجعلت نموذجها تلبية الرغبات وملذات النفس الأمارة بالسوء السفلية الدنيوية وحسب، متناسية الدور المعنوى الروحي للإنسان الذي يسموا بإنسانيته ويحقق له سعادة الدارين.[٨٧] ويرى الأستاذ النورسي بأن طغيان تلك الحضارة وتسلط فلسفتها وأفكارها المادية وتعقد متطلبات حياتها اليومية ".. كلها تؤدي إلى تشتت الأفكار وحيرة القلوب وتبعثر الهمم وتفتت الاهتمامات، حتى أضحت الأمور المعنوية غريبة عن الأذهان" [٨٨]. ويشير إلى أن أوربا قد أخذت بيمينها الفلسفة المضلة السقيمة وبشمالها المدنية المضرة السفيهة مدعية أن سعادة البشرية بهما، ثم عقب بقوله: " ألا شُلّت يداكِ، وبئست الهدية هديتكِ، ولتكن وبالاً عليكِ، وستكون."[٨٩] كما أنها حضارة حقودة على الإسلام عاملة على الثأر منه فاتحة الباب أمام كل ما يصرف المسلمين عن دينهم" او جعلهم على الأقل مهملين له" [٩٠] مشيرا إلى كثير من أعمال التصفية التي يقومون بها ضد المسلمين في بقاع كثيرة من البلاد التي تطالها أيدهم وهم فوق ذلك يتقنعون بقناع الحرية.[٩١] رافعين شعار العدالة لخداع العالم عن جرائمهم ضد الإنسانية. [٩٢] ووفقا لقاعدة (وبضدها تعرف الأشياء) فإن الأستاذ النورسي قد عقد في أكثر من موضع في رسائل النور مقارنة بين جوانب من الحضارة الغربية مع ما يقابلها من مبادئ في

(٨٤) اللمعات ص ١٧٧،
(٨٥) صيقل الإسلام ص ٣٤٦.
(٨٦) المكتوبات ص ٥٥٣
(٨٧) الكلمات ص ١٣٦.
(٨٨) الكلمات ص ٥٦٤.
(٨٩) اللمعات ص ١٧٧.
(٩٠) صيقل الإسلام ص ٣٦٧.
(٩١) صيقل الإسلام ص ٣٦٩.
(٩٢) صيقل الإسلام ص ٣٨٢،

الحضارة الإسلامية، لتتضح بذلك صورة وإنسانية كل من الحضارتين.[٩٣]

٢. ٤. المستقبل الحضاري.

من خلال ما سبق رأينا أن جوهر الحضارة هي العدالة وجوهر العدالة هو الإيمان. وأن النماذج التاريخية من حياة الأمة الإسلامية تثبت قيام تلك الحضارة في أسمى صورها... عندما كانت تسير في ارتقائها وفق منهجية القرآن الكريم الإيماني في مختلف شؤونها الحياتية. وأن الأمة الإسلامية أصابها التراجع الحضاري لمَّا تخلت عن الالتزام بتلك المنهجية، فاعتمدت في حياتها على المدنية الغربية، منبهرة بمظاهرها البعيدة عن العدالة والإنسانية. ومن خلال عرض الأستاذ النورسي للنموذج الحضاري الأوربي ومدنيته التي صارت نموذجا لمعظم الحضارات، ورغم ما تحمله تلك المدنية من حسنات تخدم الإنسانية، إلا أنه يرى أن تلك الحضارة وتلك المدنية - ولكونها لم تقم على أسس إنسانية بل اتخذت من الإنسانية قناعا مزيفا صادرت من خلاله حريات وخيرات الشعوب، وقتلت الأغلبية في سبيل عيش الأقلية – فإن حسناتها تذوب أمام تلك السيئات "... التي بثت الفوضى في الأجانب وأرهقت الحضارات وشيّبتها"[٩٤] ولما كانت عدالة الله فاعلة في التاريخ فإنه يرى أن ذلك التمكين الحضاري الغربي، جزء من تصريف تلك العدالة حينما ابتعد المسلمون عن تطبيق شريعتهم، غير أن العدالة الإلهية ذاتها، التي لا ترضى بالظلم، تجعل من تلك الحضارة وبالا على أصحابها حينما يصيروا عبيدا للشهوات والملذات الحسية التي هي صورة لتلك الحضارة ذلك من جانب، ومن جانب آخر فإن العدالة الإلهية، ستوقف طغيان تلك الحضارة العنصرية وظلمها البشري، وأنها لن تصمد طويلا كونها لم تقم على أسس الخيرية والفضيلة بل على الهوس والهوى والحسد والتحكم بالسيطرة والقوة ... وهذا ما أدى إلى غلبة سيئاتها على حسناتها" وأصبحت كشجرة منخورة بديدان المنظمات الثورية الإرهابية، وهذا دليل قوي ومؤشر على قرب انهيارها وسبب مهم لحاجة العالم إلى مدنية آسيا "الإسلامية" التي ستكون لها الغلبة عن قريب." [٩٥]

---

(٩٣) إشارات الإعجاز ص ٥٤. ٥٥، ملاحق ١١٤، ١٧٢، ٢٠٣، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٣٧٤، ٤٣٩، سيرة ١٣٧، ٥٣٢، الشعاعات ٢٦٨، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩٩، ٤٠٨، ٤١٢. ويمكن الاستشهاد بآراء قادة ومفكرين من الغرب حول واقع حضارتهم اللا إنسانية . انظر: القرضاوي. حاجة البشرية الى الرسالة الحضارية لأمتنا ص ١١ومابعدها.

(٩٤) صيقل الإسلام ص٥٦.

(٩٥) صيقل الإسلام ص٥٠١.

لتحل محلها الحضارة والمدنية الإيجابية التي تنادي بها الشريعة الأحمدية و التي تحمل في جوهرها عوامل بقائها التي لن تفنى وذلك ببقاء القرآن الكريم " الذي هو رحمة للبشرية كافة. والذي يقبل المدنية التي تكفل سعادة العموم أو في الأقل سعادة الأكثرية المطلقة... وتضع أسساً إيجابية بناءة مكان تلك الأسس النخرة الفاسدة السلبية- التي نقطة استنادها: الحق بدلاً من القوة، والحق من شأنه: العدالة والتوازن. وهدفها: الفضيلة بدلاً من المنفعة، والفضيلة من شأنها: المودّة والتجاذب. جهة الوحدة فيها: الرابطة الدينية والوطنية والصنفية بدلاً من العنصرية والقومية، وهذه الرابطة من شأنها: الأخوة المخلصة والمسالمة الجادة والدفاع فقط عند الاعتداء الخارجي. دستورها في الحياة: التعاون بدلاً من الجدال والصراع، والتعاون من شأنه: الاتحاد والتساند. وتضع الهدى بدلاً من الهوى، والهدى من شأنه:رفع الإنسان روحياً إلى مراقي الكمالات. فلا ترخِ يدك عن الإسلام الذي هو حامي وجودنا، واستعصم به، وإلاّ هلكت." [٩٦] " ... انتبه الآن في الجميع ميلُ البحث والتحري عن الدين الحق. فثبت من براعة الاستهلال هذا بأن الإسلام هو الدين الفطري للبشرية في المستقبل."[٩٧] وفيه سعادة الدارين التي يقدمها لنا من خلال القرآن " فيأخذ بأيدينا إلى أفضل مدنية، وان السعادة الحقيقية والدائمة لا يمكن أن تتحقق للبشرية إلا باتباع أوامر القرآن والانتساب إليه.." [٩٨]

٣. الخاتمة (نداء النورسي لأبناء أمة الإسلام)

جعلنا خاتمة هذا البحث مقتطفات من نداءات الأستاذ النورسي إلى أبناء أمة الإسلام، للنهوض بدورهم الحضاري الذي تدعوهم إليه شريعة الإسلام التي أهملوها فتوقفت حضارتهم. وبما أن الشريعة التي ينتسبون إليها باقية فإن مقومات البقاء الحضاري في متناول اليد، والأمر يحتاج فقط إلى الإخلاص وتقوية جذور الإيمان الذي يربط العبد بربة بصلات إيمانية قوية لا تنقطع، فالإيمان القوي هو المنقذ من السقوط في هوة الضلالة الناتجة عن العدول عن الدين الجامع لكل "جوانب الحق والحقيقة – وهما أسس أرقى مدنية.." [٩٩]إنه يدعوهم إلى استعادة مدنيتهم الإيجابية وأن لا يفقدوا الأمل الذي تمسكت به أوربا فنجحت في مدنيتها. موضحا بأن رقيهم

(٩٦) المكتوبات – نوى الحقائق ص٦٠٦- ٦٠٧.
(٩٧) صيقل الإسلام ص ٤٠٧.
(٩٨) الشعاعات ص ٦٠٥.
(٩٩) الشعاعات ص ٥٩١.

وتمدنهم وتمكنهم كامن في الحفاظ على دينهم، وأن ما نشاهده من محاسن تلك المدنية والحضارة الغربية... فإنه ذات صلة بشريعة الإسلام." وأما ما يُرى في مدنية الكفار من المحاسن الإنسانية والمعالي الروحية، فمن ترشحات مدنية الإسلام، وانعكاسات إرشادات القرآن وصيحاته، ومن بقايا لمعات الأديان السماوية." [١٠٠] داعيا إياهم إلى قراءة تاريخهم الحضاري كي يأخذوا منه العظات والعبر فهو: - التاريخ- " يشهد أن رقي المسلمين وتمدنهم يكمن في اتباعهم حقيقة الإسلام ويتناسب معه، في حين رقي الآخرين وتمدنهم يتناسب تناسباً عكسياً مع تمسكهم بدينهم. "وأن الدين ضرورة فطرية للإنسان الذي لا يمكن أن يعيش بدونه، فالمتنبه هو الذي يقف على نقطة استناد صلبة أمام هجوم الكائنات عليه واستثمار آماله الغير محدودة. داعيا - إياهم في كلمة طويلة- التمسك بأسباب الرقي الحضاري ذات الأبعاد المادية والروحية التي بينها في ذلك المقام.[١٠١]... وفي الخطبة الشامية.[١٠٢] ويدعو هم إلى التعاطي مع الغرب ومدنيته في إطار الأخذ بأسباب الرقي المادي لأهميته الدينية: "وفي زماننا هذا يتوقف إعلاء كلمة الله على التقدم المادي والدخول في مضمار المدنية الحقيقية." [١٠٣] فالأخذ من محاسن حضارة ومدنية الغرب ما دام في إطار مقاصد الشرع ومقرراته وبما يحقق أمن البلاد وسلامتها في ظل علاقة قائمة على الصداقة أمر لاغبارعليه. [١٠٤] غير أنه يؤكد على التنبه لخداع المظاهر البراقة لتلك الحضارة فنأخذها على علاتها بل يجب أن تكون هناك قاعدة دستورية في التعامل مع تلك الحضارة وغيرها وهي: "خذ ما صفا دع ما كدر" وفي ضوئها سنأخذ من الأجانب - مشكورين - كل ما يعين الرقي المدني من علوم وصناعات. أما العادات والأخلاق السيئة، فهي ذنوب المدنية ومساوئها التي لا يتبين قبحها كثيراً لكونها محاطة بمحاسن المدنية الكثيرة.. سنمنع بسيف الشريعة مساوئ المدنية وذنوبها من الدخول إلى حدود حريتنا ومدنيتنا حفاظاً على فتوة مدنيتنا وشبابها بزلال

---

(١٠٠) المثنوي العربي ص ١٨١.

(١٠١) صيقل الإسلام ص ٣٦٩- ٣٧٠.

(١٠٢) صيقل الإسلام ص ٤٩٢ وما بعدها.

(١٠٣) صيقل الإسلام ص٥٠٠

(١٠٤) " فالمدنية والرقي الدنيوي يجذبان العقول كلها ويشغلانها ويشدّان بهما جميع الأذهان فضلاً عن أن معظم غير المسلمين ليسوا ملتزمين إلتزاماً جادّاً بدينهم أساساً... فعلى هذا فان محبتنا لهم ماهي إلا لاقتباس ما استحسناه من مدنيتهم وتقدمهم ولأجل المحافظة على نظام البلاد وأمنها الذي يُعدّ أساس سعادة الدنيا، فهذه الصداقة إذا لا تدخل قطعاً ضمن النهي القرآني." (صيقل الإسلام ص ٤٠٠)

عين حياة الشريعة." [١٠٥] ويدعو الأمة الإسلامية رؤوس ومرؤوسين إلى العمل وترك الكسل والتواكل. والاهتمام بالرقي المادي من خلال الاهتمام بالصناعة والزراعة والتجارة، وترك التدافع نحو شغل الوظائف الرسمية التي تعبر عن العجز والكسل وتمثل هروبا من العمل، وهذا لن يؤدى إلا إلى مزيد من التدهور والاعتماد على الغير. [١٠٦] ويدعو في هذا الصدد إلى الاقتداء بالحضارة اليابانية التي سارت في ركاب التقدم المادي مع الحفاظ على تقاليدهم القومية" وحيث أن عاداتنا القومية ناشئة من الإسلام وتزدهر به فالضرورة تقتضي الاعتصام بالإسلام." [١٠٧] الذي يحمل أسس قوية لحضارة المستقبل المشرقة المدعمة بالمعرفة والمدنية ... وغير تلك من القوى التي تؤهلها لاستلام الدور الحضاري الإنساني وفق المنهج الإسلامي الأخلاقي.[١٠٨]

(١٠٥) صيقل الإسلام ص ٤٦٨.
(١٠٦) صيقل الإسلام ص ٤٠٣، ٤١٧،٤٠٧.
(١٠٧) صيقل الإسلام ص ٤٦٨.
(١٠٨) صيقل الإسلام ص ٥٦.